إنتاج المصطلح النقدي وتأثره بالأيديولوجيا- الواقعية أنموذجا

الاستاذ الدكتور
حسن عبد عودة حميدي الخاقاني
جامعة الكوفة- كلية الآداب
المدرس المساعد
نوال هادي حسن
وزارة التربية- مديرية تربية النجف
hasan.alkhaqani@uokufa.edu.iq
nawal.algibury@yahoo.com

Production of the critical term and its impact on ideology - realism as a model

Hassan Abed Odeh Al Khaqani
University of Kufa - College of Art
Nawal hadi hasan
Ministry of Education-Najaf Education Directorate

الخلاصة :
الواقعيــة مــن المصــطلحات الفكريــة والسياسية التي أدخلها النقد الأدبي في دراسة الأدب الحديث، وقد ارتبطت غالبا بنزعات فكرية مختلفة أو متضاربة. وقد كان لها تاريخ طويل في التقلبات والبروز أو الضمور باختلاف الحقب الزمنية التي مرت، وهو ما سعى هذا البحث إلى رصده والوقوف عند أبرز مفاصله في هذه الدراسة الموجزة.
الكلمات المفتاحية : (الأيديولوجيا، المصطلح النقدي، الواقعية، الواقعية الاشتراكية، الأدب الواقعي، الواقعية التصويرية)

Abstract:
Realism is one of the intellectual and political terms introduced by literary criticism in the study of modern literature, and it has often been associated with different or conflicting intellectual tendencies.

It has had a long history of fluctuations, prominence or atrophy, according to the different periods of time that have passed, which is what this research sought to monitor and stand at its most prominent points in this brief study.
Keywords: (ideology, critical term, realism, socialist realism, realistic literature, graphic realism)

المقدمة:

عدت المصطلحات مفاتيح العلوم والمعارف كلها وليس للنقد الأدبي فحسب. وبوساطتها أمكن للباحث والدارس للنقد الأدبي فك مغاليقه ودراسة كل ما يتعلق به من إحالات. فقد أنتج المصطلح النقدي من مخاض عمليات تصنيفية، وتعريفية اعتمدت على سمات وظواهر وأنساق في النصوص الأدبية مؤثرة في الأدب نفسه أو بغيره؛ اتخذها النقاد أساساً للتصنيف والتعريف، أو مائزا بين نص أدبي وآخر.

علاقة الاصطلاح بتصنيف النص الأدبي:

ليس الأدب بذاته ولّاداً لأي مصطلح في النقد الأدبي وإنما هو موضوع لمحمولاته؛ إذ ليس من شأن الشعر –مثلا- أن يصنّف نفسه شعراً موزوناً مقفىً أو منثوراً غير ذي وزن وقافية, وليس من شأنه أن يصنف نفسه بوصفه شعراً إلتزامياً أو ثورياً أو واقعياً أو خيالياً. وكذلك ليس من شأن المسرحية أو القصة أو الرواية أن تصنّف نفسها بوصفها واقعية أم خيالية, أم ملهاة أم تراجيديا, أو بوصفها نصّا سرديا أم شعريا. أو بوصفها نوعاً مسرحياً أم قصصياً أم روائياً،. وحتى تقسيم الأدب على نوعين (إنشائي ووصفي) هو تقسيم مدرسي متأخر عن مرحلة إنتاج النص الأدبي[1].فلئن كان الأدب الإنشائي – كما عرف في بعض الدراسات- هو ما ينتجه الأديب الشاعر أو القاص أو الروائي؛ فإن الأدب الوصفي ليس من هذا في شيء؛ إذ ليس هو أكثر من قارئ ومتأثر ودارس، وهذا هو مجال النقد في مستوياته المختلفة، وليس النقد – كما ترى بعض الدراسات - ينشأ مع الأدب؛ بل ينشأ بعده بزمن قريب أو بعيد[2]. إذ إنه " من **المحتمل جداً أن تكون هذه الفروع التي ننسبها اليوم إلى الشعر والنثر قد وجدت منفردة هنا وهناك قبل أن يوجد لها الإنسان اسمين عامين: الشعر لفروع معينة والنثر لفروع معينة, وقبل أن يجد لهذين الأسمين العامين أو**

للفروع كلها منفصلة اسماً أعم هو الأدب"[٣]. وعليه فإن المصطلح النقدي أنتج من مخاض عمليات تصنيفية, وتعريفية اعتمدت على سمات وظواهر وأنساق في النصوص الأدبية مؤثرة في الأدب نفسه أو بغيره؛ اتخذها النقاد أساساً للتصنيف, والتعريف, أو مائزاً بين نص أدبي وآخر[٤]. وتتضح هذه الحقيقة في أوجز تعبير عبّر به الشكلانيون ومنهم (رومان جاكبسون) (١٨٩٦-١٩٨٢) بقوله : (**إن موضوع علم الأدب ليس الأدب وإنما أدبيته**)[٥]. وتتأكد - أيضاً- من خلال حديث (تيري إيجلتون) عن الأدب والنظرية الأدبية بقوله:(**إنْ كان ثمة نظرية أدبية، فلابد أن يكون هناك أدب هي نظريته**)[٦]. إن هذا الاستهلال - الذي حاول (جاكبسون) و(إيجلتون) الولوج من خلاله إلى تعريف الأدب - يشي بحقيقة حد فاصل بين الأدب ونظريته وهو تلك التصنيفات والتعريفات التي صُنّف وعرّف في ضوئها الأدب وأجناسه وأنواعه. ولذلك عدّت المصطلحات مفاتيح العلوم والمعارف كلها وليس للنقد الأدبي فحسب. وبوساطتها أمكن للباحث والدارس للنص الأدبي فك مغاليقه ودراسة كل ما يتعلق به من إحالات.

وفي ضوء ما تقدم أمكن القول: إن المصطلح الأدبي والنقدي كان وليداً لانفعالات ورؤى المصطلحين بسمات النص الأدبي وكل ما يتعلق به, ومتمذهباً بمذاهب أفكارهم ومتجها باتجاهاتها, فظهور المصطلحات النقدية الأولى ذات الأبعاد التجنيسية كان نتاجا لتأثر مزدوج. إذ هو من جهة انفعال في ذهن الناقد بغرض تصنيفي أراد منه أن يميز بين أجناس أوأنواع النصوص الأدبية وأنواعها, ومن جهة أخرى انفعال في ذهنه بسمات النص الأدبي التي تفرقه عن غيره من النصوص أو تجمعه معها تحت جنس أو نوع واحد. سواء من ناحية الشكل أم من ناحية المضمون. وخير مثال على تلك التصنيفات ظاهرة عنونة النص الأدبي وفهرسته ممثلة في أقدم صورها في أدب وادي الرافدين إذ تكشف عن أقدم محاولة عند أدباء تلك العصور للاهتمام ببنية

النص الأدبي وشكله الذي تكون العنونة جزءاً منه[٧].بل إن العنونة الخاصة لبعض القطع السومرية التي تذيلت تلك القطع المرقومة على الألواح الطينية؛ أثبتت أسبقية الإنسان الرافديني وشروعه في أقدم المحاولات التصنيفية للآداب. فمنها تصنيف الأدب إلى (شعر), و(أدب مفاخرة), و(أدب رثاء وندب), و(أدب حوار) ومصطلحات أخرى تتصدرها كلمة (سر) -وهي أنواع لم تُعرَف ماهيتها- مثل (سر- نمنار) و(سر - حامن) و(سر- نام- كَالا). وهذا الأخير يقصد به أغاني الكهنة. وأشعار غنائية أخرى صنفت واصطُلِحت عليها الكلمة السومرية (أدب)(ADAB). وأشارت آراء المختصين بأن هذا المصطلح الأخير يوحي بتصنيف الكتابة السومرية إلى كتابة فنية أدبية وكتابة غير فنية[٨]. وكل ذلك يكشف عن انفعال ذهني نقدي صنفت في ضوئه تلك الأعمال الأدبية المغرقة في القدم, والتي صنّفت الأدب بالاعتماد على تنوع شكله ومضمونه, وبالاعتماد على رغبة في التمييز بين ما هو أدبي وما هو ليس بأدبي, والتمييز بين أجناس وأنواع النصوص الأدبية. وعلى الخطى ذاتها سار النقد الأدبي الغربي فانطلق أقدمه مع ظهور ملحمة (الأليذة) التي استلهم فيها هوميروس ربة الشعر[٩]. و(الأوديسة) التي استلهم فيها ربات الشعر وسرد فيها قصة (أوديسيوس) مع ربة الغناء[١٠]. فيبدو من تصنيفهم للأرباب تصنيف للأدب وللفنون، في عصور ما بعد الميلاد.

والعلاقة الوثيقة بين الأسس والأغراض - التي صُنِّف في سياقها الأدب - والرؤى والأفكار - الخاصة بالناقد- كانت بمثابة الباب الذي دخلت من خلاله الأيديولوجيا وتأثيرها في إنتاج المصطلح الأدبي والنقدي. فعلى سبيل المثال كانت فلسفة أفلاطون المثالية وآراؤه في السياسة والأخلاق أساساً له لدراسة الأدب ونقده[١١]. ويرى بعض الباحثين أن (أفلاطون) أحدث نقلة مهمة واضحة في النقد اليوناني من التصنيف إلى التقييم والتأويل، وحاول التمييز بين نقد المضمون ونقد الشكل، وأن يصوغ بعض أصول النقد الأدبي

الأساسية، فوضع معايير ثلاثة للفن الجيد ممثلة: بتأثيره الأخلاقي، وما يولد من متعة، وضبط المحاكاة. هذا بالإضافة إلى تصنيفات تلميذه أرسطو الذي عُدّ لدى الباحثين مصدراً أساسياً لبعض المصطلحات التي تتعلق بالتراجيديا والكوميديا التي لعبت دوراً كبيراً في تاريخ النقد(١٢).

إن تدخل المعارف والثقافات العالمية التي تؤثر فيها أفكار وفلسفات وأيديولوجيات مختلفة, ومذاهب أدبية متأثرة في الأصل بمذاهب فلسفية أيديولوجية، له تأثير كبير في فهم النقاد للأدب، وهو بلا شك أثَّر في إنتاجهم للمصطلحات الأدبية والنقدية المختلفة(١٣).

ونستطيع أن نستخلص من ذلك أن المفاهيم والمصطلحات التي ترتبط بها كانت ولم تزل أسيرة لتوجهات الناقد والأفكار المهيمنة على رؤيته للعالم وللأدب.

وفي ضوء تلك التوجهات والأفكار الأيديولوجية أنتجت المذاهب الأدبية. لأنها بالدرجة الأساس تعتمد على موقف الأديب من عالمه ومجتمعه. الذي يتشكل بالاعتماد على البناء المعرفي والنفسي المستمد من معطيات الحضارة والفكر والثقافة(١٤). وفي ضوء هذا ظهرت مصطلحات أدبية ونقدية عديدة، سيقف البحث عن واحد منها وهو : الواقعية.

❖ الواقعية في الفلسفة:

ظهر مصطلح الواقعية في الفلسفة قبل ظهوره في الأدب والنقد إذ "**كان أول ذكر لهذه النظرية الفلسفية في كتاب جمهورية أفلاطون .. الباب العاشر**"(١٥). ويمكن القول بأن فكرة الواقعية الفلسفية موجودة حتى عند (سقراط) إذ يتضح من قوله: (**إن الشارع لشبيه بالرسام اليدوي الذي – كما لاحظنا سابقاً- سيصنع ما هو شبيه للاسكافي, مع إنه لا يفهم شيئاً من الأسكفة, وإن رسمه واقعي فقط لأولئك الذين لا يعرفون أكثر مما يعرفه هو,**

ويحكم بالألوان والأشكال فقط.)[١٦]. فالواقعية في رأي سقراط لا تتعلق بإدراكنا ومعرفتنا بالأشياء بل تتعلق بوجودها الحقيقي المستقل عن إدراكنا. وعدّها "**أفلاطون الفلسفة المناقضة للفلسفة الاسمية التي كانت سائدة في عصره، والتي تقول إن الأشياء توجد بمجرد إطلاق الأسماء عليها، لأن الشيء بدون اسم ليس له أي وجود، أما الفلسفة الواقعية فتؤكد أن الشيء موجود وواقع بالفعل ولكن تعرف الإنسان عليه لا يأتي إلا بعد تسميته، وهذا راجع إلى قصور في إدراك الإنسان للواقع وليس لأن الواقع غير موجود أصلاً**"[١٧]. وتمخض عن هذا الاختلاف بين رؤى الفلاسفة جدل كبير بينهم بعد (أفلاطون) حول الفلسفة الواقعية والفلسفة الاسمية. واستمر ذلك الجدل حتى العصور الوسطى وأصبحت الواقعية من أهم مواضيع البحث الفلسفي. وكان من أهم أعلام هذا الجدل الفلسفي هم الفيلسوف والأسقف (كانتربري انسليم) (١٠٣٣ - ١١٠٩), والفيلسوف الفرنسي (بيتر أبيلارد) (١٠٧٩-١١٤٢), والفيلسوف والراهب الإنجليزي (وليام الأوكامي) (١٢٨٨-١٣٤٨)[١٨].

وامتدت جذور الفلسفة الواقعية لتتبلور وتصبح مذهبا من المذاهب الفلسفية الكبرى وهو المذهب الواقعي الذي ظهر مع ظهور الثورة على المذهب المثالي[١٩]. وقد عُبّر عن المذهب الواقعي بأنه يرى "**إن الفكر الإنساني لا يدرك سوى الظواهر الواقعة المحسوسة وما بينها من علاقات أو قوانين، وأن المثل الأعلى لليقين يتحقق في العلوم التجريبية، وأنّه يجب من ثم العدول عن كل بحث في العلل والغايات وما يسمى بالأشياء بالذات**"[٢٠]. وإلى ذلك ذهب (توماس كايس)(١٨٤٤-١٩٢٥) الذي يرى "**أن هناك عالماً من أشياء حقيقي, ويمكن معرفته, ويوجد باستقلال عن المعطيات الحسية**"[٢١]. ويوافقه كثير من الفلاسفة منهم (جون كوك ولسون)(١٨٤٩ - ١٩١٥) في "**إننا ندرك موضوعات فيزيائية توجد باستقلال عن فعل الإدراك أي إنه ينكر مقولة إن الشيء لكي يوجد لابد أن يدرك**"[٢٢].

ويتبين مما تقدم إن الفلسفة الواقعية وسعت من مفهوم الواقع وجعلت وجود الشيء في الحقيقة لا يرتبط بشيء إلا بذات وجوده من غير تدخّل لوعي الإنسان أو إحساسه بذلك الوجود. وبغض النظر عن إدراكنا له من عدمه, وبغض النظر عن كون ذلك الوجود وجوداً ماديا في الطبيعة أم غير مادي. وهي بذلك تتعدى الحد الذي يحدده مفهوم الفلسفة الطبيعية لوجود الشيء. وكذلك تتعدى الحد الذي يحدده مفهوم الفلسفة الاسمية الذي يوقف الواقع على تسميتنا له. وتتعدى – أيضاً- الحد الذي حدده مفهوم الفلسفة المثالية . التي تؤمن بأن الواقع مرتبط ارتباطًا تاما بالوعي أو الأفكار بصورة لا يمكن معها تمييزه عن الفهم و الإدراك البشري.

❖ الأدب الواقعي:

تتباين الآراء حول الظهور الأول لمصطلح الواقعية في المجال الأدبي فبعض الدراسات تشير إلى ظهوره للمرة الأولى في أواخر القرن الثامن عشر(٢٣). وأخرى ترجع ظهوره إلى القرن التاسع عشر(٢٤). فيما ترى بعض الدراسات أن (الواقعية) من الناحية الاصطلاحية ظهرت سنة (١٨٠٣) على الرغم من أن الفنانين أو الأدباء أطلق علي بعضهم صفة (واقعي) وكانت هذه الصفة معروفة منذ أكثر من قرنين قبل هذا التاريخ(٢٥).

فيما يرى (د. صلاح فضل) (١٩٣٨) أن أول من طبق مصطلح الواقعية على الأدب هم الكتاب الألمان في أواخر القرن الثامن عشر إذ وصفوا الأدباء الفرنسيين بأنهم "**واقعيين أكثر منهم مثاليين**"(٢٦). وتنسب دراسات أخرى رأيا لـ(لودفيغ فويرباخ) (١٨٠٤ - ١٨٧٢) بأن ظهورها كان في زمن أبكر من القرن التاسع عشر(٢٧). في حين أن دراسات أخرى أشارت إلى ظهور هذا الاتجاه للمرة الأولى يعزى إلى ما بدأه الناقد الراديكالي الثوري وعالم الجمال الروسي (فيساريون بِلينسكي) (١٨١١ - ١٨٤٨) في ثلاثينيات القرن التاسع

عشر, ثم اقتدى به تلامذته كل من الناقد الأدبي والشاعر الثوري الديمقراطي (نيكولاي دوبرليوبوف) (١٨٣٦-١٨٦١). والفيلسوف والناقد الأدبي والاجتماعي الروسي (ديمتري بيساريف) (١٨٤٠-١٨٦٨)[٢٨]. وهناك من يرى أن (بلينسكي) كان يمثل الوجه النقدي لقضية الواقعية, بينما يمثل الكاتب الروسي (نيقولاي غوغول) (١٨٠٩- ١٨٥٢) الوجه الفني لها[٢٩]. إذ يعد واحداً من مؤسسي المدرسة الواقعية في الأدب الروسي. مما دعا الصحف الروسية آنذاك لشن حملة عنيفة ضده بدعوى إنه يهبط بالأدب إلى المستوى العادي المألوف. وعلى أثر تلك الهجمة وقف (بلينسكي) مدافعاً عنه وعدّ قصصه ورواياته استجابة لروح العصر[٣٠]. بينما يرى بعض آخر أن (نيكولاي تشيرنيشيفسكي) تلميذ (بلنسكي) هو من رسم الخطوط الأولى لمصطلح الواقعية. وترى تلك الدراسات - التي تؤمن بريادته- إن الصياغة المنهجية للواقعية التي رسم خطوطها الأولى فتحت الآفاق أمام الأديب والفنان ومنحته وسائل متعددة في التعبير عن مصالح المجتمع وأهدافه الإنسانية السامية[٣١]. ويبدو إن هذا الاختلاف في تحديد زمن ظهور هذا المصطلح راجع إلى شيء من الخلط بين الممارسة الواقعية للأدب واصطلاح هذا المصطلح عليها من ناحية. ومن ناحية أخرى يرجع إلى الخلط بين مفاهيم الواقعية في أطوارها المتجددة. إذ إن مفهوم الواقعية مر بمراحل متعددة طُور فيها المفهوم واختلف اختلافا كبيراً كما سيتضح.

أما بالنسبة للخلط بين الممارسة الواقعية للأدب واصطلاح هذا المصطلح عليه؛ فلا شك في سبق الممارسة على التسمية والاصطلاح وهو أمر طبيعي بالنسبة للتصنيف النقدي الأدبي كما تقدم ذكره في بداية هذا المبحث. إلا أنه لابد من الوقوف عند الرأي القائل بأن صفة (واقعي) كانت معروفة قبل أكثر من قرنين من زمن ظهور مصطلح (الواقعية) في سنة (١٨٠٣)، إذ إن وصف الأدب أو الأديب بصفة (واقعي) يعني تصنيفه. وهو دليل كاف على ظهور

المصطلح قبل هذا التاريخ. فظهور مصطلح الواقعية فيما بعد لا يغير شيئاً من الوصف أو التصنيف السابق, لا بزيادة ولا بنقصان. ولعل كلام (بيلنسكي) نفسه من أهم الشواهد على وجود مفهوم الواقعية وربما حتى المصطلح في القرن الثامن عشر عند الفرنسيين إذ يرى (بيلينسكي) أن (نيكولاي كارامزين)(١٧٦٦-١٨٢٦) و(ديمتري خفوستوف) (١٧٥٧ -١٨٣٥) نظرا إلى الفن من خلال عيون الفرنسيين في القرن الثامن عشر. ومن المعروف أن الفرنسيين في ذلك الوقت فهموا الفن على أنه تعبير عن الحياة. أو عن حياة المجتمع"[٣٢].

وأما بالنسبة للخلط بين مفاهيم الواقعية في أطوارها المتجددة، فإن الواقعية الأدبية في ظهورها الأول عرفت بأنها تيار فلسفي- أدبي، يناقض المذهب الرومانسي. إذ يصور الرسام أو الأديب الواقع الخارجي تصويراً دقيقاً من غير إضفاء أي طابع شخصي عليه، أو من دون إضفاء أية تفاصيل أخرى مثالية أو خيالية[٣٣]. ومن الواضح أن هذا المفهوم للواقعية قائم على تجسيد الواقع وتصويره بعيدا عن المثالية وعن الخيال. بغض النظر عن موقف الفن أو الأدب من الواقع. لا انتقادا للواقع، ولا التزاما بقضايا المجتمع الواقعي. وإنما يكون دور الفنان أو الأديب فيه دوراً آلياً. أو بتعبير آخر دور مرآتي عاكس للموضوع الخارجي الحقيقي. إذ إن الواقعيين القدماء يرون أن " **قلم الأديب الواقعي لا يختلف عن عدسة المصور الذي لا يفعل شيئا سوى اختيار المنظر، فهو مجرد أداة توصيل بين المنظر أو المضمون وبين المشاهد أو القارئ**"[٣٤].

ويرى (عباس محمود العقاد) (١٨٨٩-١٩٦٤) أن ظهور الواقعية كان بمثابة ردة فعل على الإفراط والانحدار وطغيان الطابع الشخصي المفرط على الأدب الذي شاع على يد الرومانتيكيين. والذي نتج عنه أدب بعيد عن واقع الحياة بسبب أهواء الكاتب أو الفنان الذي أخذه حب التجميل للحوادث والأشخاص. مما أدى إلى الإخلال بالحقيقة العلمية. لذلك دعا الواقعيون إلى

أن تكون الكتابة مجردة من الطابع الشخصي والنزعات العاطفية ومقيدة بالصور كتقيّد آلة التصوير في تصوير المشاهد(٣٥). ومما لا شك فيه إن هذا يمثل المفهوم القديم للواقعية. وبما أن وظيفتها تقتصر على التصوير الدقيق للواقع الخارجي يمكن أن يصطلح عليه هنا مصطلح (الواقعية التصويرية). وهذا المفهوم القديم يعود إلى ما قبل القرن التاسع عشر سواء في القرن الثامن عشر أو أقدم منه - كما أشارت تلك الدراسات- ليمتد بعد ذلك إلى أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ليعاصر الواقعية الانتقادية والواقعية الاشتراكية فضلا عن معاصرته للواقعية الطبيعية. ولعل تفرع الواقعية الأم إلى واقعية طبيعية ناتج عن هذا الامتداد. إذ إن عدداً من الدراسات ربطت بين الواقعية والطبيعية نتيجة لعدم وضوح الفرق بين الاتجاهين(٣٦).

لكن هذا المفهوم القديم حُدّث وطوّر إلى مفهوم آخر يتضمن وظيفة أخرى غير الوظيفة الأولى المكرسة لتصوير الواقع على ما هو عليه. إذ أصبح مفهوم الواقعية يتضمن موقفا التزاميا من الفنان أو الأديب بوجوب تكريس الفن والأدب لنقد الواقع والثورة عليه، وظهر هذا المفهوم مزامنا أو على أعقاب ظهور الطبقة البرجوازية التي آزرت الطبقة الكادحة الغاضبة من العمال والفلاحين في إشعال فتيل الثورة الفرنسية. من أجل الإطاحة بطبقة النبلاء ورجال الدين التي كانت تهيمن على كل مقدرات المجتمع الفرنسي. ومن ثم تمخض ذلك الغضب وذلك الدور عن ظهور اتجاه أدبي واقعي جديد لا تنحصر مهمته في رفض الخيال والمثل وتصور الواقع على ما هو عليه؛ وإنما أضيفت له وظيفة جديدة, وهي نقد الواقع, وانتقاده, ورفض كل ملامح العبودية, والتسلط, وهيمنة طبقة النبلاء, ورجال الدين على المال, والمناصب في البلاد. وهذه الواقعية هي (الواقعية الانتقادية). حتى أن بعض الدراسات وصفت الواقعية الانتقادية بأنها واقعية برجوازية، ووصفتها بأنها أدب وفن برجوزاي(٣٧). وهو ما يعطي مؤشراً واضحا على الحقبة الزمنية التي ظهر

فيها هذا المصطلح تبعا لتزامنه أو استتباعه لظهور الطبقة البرجوازية وتأثيرها في إشعال فتيل الثورة الفرنسية والثورات الأوربية. ما يعني أن ظهور المصطلح يكون بين نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر, وهي الحقبة نفسها التي ظهر فيها مصطلح الواقعية على يد الناقد الروسي (فيساريون بِيلينسكي) (١٨١١ - ١٨٤٨) في ثلاثينيات القرن التاسع عشر لذلك نُسب إليه المصطلح. خاصة وإن آراءه في بداية حياته اتجهت للحث على الواقعية الانتقادية. وكان يرى أن "**الأدب يعكس مساوئ نظام عبيد الأرض... لا ينبغي على الأدب أن يكتفي بأن يعكس الواقع بل أن يقوم بتغييره... وطرب البلاشفة لحماسه للأدب الاجتماعي والواقعي واعتبروه رائد النقد الراديكالي في الاتحاد السوفيتي**"(٣٨).

إن الوظيفة الأولى للفن – بحسب (تشيرنيشيفسكي) - هي إعادة تكوين الواقع الحقيقي بصورة متجددة(٣٩). وعدَّ (وليم ميكبيس ثاكري) (١٨١١ - ١٨٦٣) أن وظيفة الرواية قائمة على تمثيل الطبيعة والتعبير عنها في تصوير الواقع والشعور به. لذلك كان الواقعيون مصرين على ضرورة التركيز على الوجه الاجتماعي المتمثل بصلات الفرد بالمجتمع وقضاياه المصيرية(٤٠). فيما يرى آخرون إن وظيفة الأدب الواقعي أخلاقية وسياسية وإن هدفه إظهار الواقع, وإخضاع ملامحه إلى النقد(٤١). وفي ضوء ما تقدم اتضح إن مفهوم الواقعية النقدية أو الانتقادية نشأ وتبلور في ضوء الأفكار المتقدمة ومعطياتها. فحاول كُتّابه تحريك الضمير في رواياتهم, وشجب المظالم الاجتماعية(٤٢). ويشير (لالاند) في موسوعته إلى واقعية وصفت بأنها (واقعية نقدية في الفن) هدفها ودروها الرئيس هو الكشف عن شرور المجتمع البرجوازي, والحكم الجائر لملاك الأراضي, وفساد المسئولين البيروقراطيين, وهيمنة الكنيسة, وفضح تناقضاتهم, وغرائزهم الوحشية, والتغلب عليها(٤٣). وهذا الرأي يشير إلى تطور مفهوم الواقعية وتوسعه خاصة مع ظهور الواقعية الاشتراكية المتأثرة

بالفكر الأيديولوجي الماركسي والشيوعي الذي ازدهر في القرن العشرين في ألمانيا والاتحاد السوفيتي. والتي دعت الفنان أو الكاتب أن يكون مؤمنا بأهداف الطبقات العاملة والعالم الاشتراكي التقدمي، وأن يكرس فنه أو أدبه لخدمة مصالح الطبقات العاملة، ويندمج في المجتمع الاشتراكي النامي. فيرى في الطبقة العاملة الأمل في الانتصار على الرأسمالية. وتحرير الإنسان. وقيام مجتمع غير طبقي متطور. وخلق قوى إنتاج مادية وروحية متطورة، ومن ثم يجسد هذه الأفكار في العمل الفني أو الأدبي(٤٤).

وتشير الدراسات إلى أن الأديب الماركسي الروسي (مكسيم جوركي) (١٨٦٨ - ١٩٣٦) هو أول من صاغ اصطلاح (الواقعية الاشتراكية) وجسده في أعماله، لكن هذا المفهوم انحرف عن مساره فيما بعد عندما تطرف وأصبح مثار نزاع بين أدباء الواقعية الاشتراكية وتبادل الاتهامات والجدل الرجعي والتقدمي(٤٥). وظهرت الواقعية الاشتراكية في ثلاثينيات القرن العشرين عام (١٩٣٢) إذ "**طرح جوركي وزادانوف فكرة الواقعية الاشتراكية كبديل لفكرة راب في استخدام المادية الجدلية في مجال النقد الأدبي. وفي عام ١٩٣٤ أصبحت الواقعية الاشتراكية السياسية الأدبية الرسمية التي تبناها الحزب البلشفي من خلال المؤتمر الأول لكتاب السوفيت**"(٤٦). إذ يُعزى إلى (نظام ستالين) أنه رفع "**شعاراً يطالب الأدباء بمراعاة الواقعية في الشكل والاشتراكية في المضمون**"(٤٧). إلا أن بعض الآراء ترجح وجودها على مستوى الممارسة قبل هذا التاريخ وقبل ثورة (١٩١٧)(٤٨). وأطلق عليها في فترة من الفترات الزمنية مصطلح (الواقعية الثورية)(٤٩). وعلى الرغم من أن مفهوم الواقعية في منظور (أرسنت فيشر) هو مفهوم غامض أو مفهوم مطاط قابل للدلالة على أكثر من معنى. إلا أنه يحاول التمييز بين الواقعيتين التصويرية. والانتقادية. فعلى الرغم من تحديده لمفهومين أساسيين يُعبَّر عنهما بمصطلح الواقعية – المفهوم الأول هو (الموقف) بمعنى الاعتراف بالواقع الموضوعي والثاني هو

(الأسلوب أو المنهج)- إلا أنه يرى أن الحد الفاصل بين هذين المفهومين قد يتلاشى أحيانا ويتداخلان في الدلالة على معنى المصطلح(٥٠). فقد يُعبَّر عن فنان أو كاتب ما بأنه (واقعي) بناءًا على أسلوبه في التعبير عن الواقع خارجي أي إنه غير خيالي وحينئذ تكون الواقعية تصويرية. أو يوصف بأنه (واقعي) بناء على موقفه في من الواقع الموضوعي فتكون الواقعية انتقادية. ومع ذلك يرى (فيشر) إن كلا المفهومين قابلين للنقاش. فالواقعية حتى إذا عُرِّفت بأنها أسلوب لا يكون صحيحاً عدّها الأسلوب الوحيد المتفرد وإنما هي واحدة من أساليب متعددة ممكنة للتعبير، فالواقعية الانتقادية – على سبيل المثال- هي من ناحية الموقف (انتقادية) ومن ناحية الأسلوب (تصويرية). بالإضافة إلى إنه يرى أن بعض الأعمال الروائية أو المسرحية الخيالية هي أكثر واقعية من أعمال واقعية نظيرة لها(٥١). وعلى وفق هذه الرؤية يرى (أرسنت فيشر) "**إن العمل الفني يجمع بين الواقع والخيال. والجنيات عند شكسبير وجويا أكثر واقعية من الفلاحين والصناع والمسوخين الذين نراهم في كثير من اللوحات من طراز الجانر. إن تفاهة الدورة العادية للحياة اليومية عندما يرتفع بهاج وجوجول أو كافكا إلى تلك الذرى الخيالية، تكشف لنا من أمر الواقع أكثر مما يكشف لنا الكثير من وصف الطبيعيين. إن دون كيشوت وسانكو بانزا أكثر واقعية، حتى اليوم، من مئات الشخصيات المصقولة الركيكة التي تحفل بها روايات ((مستمدة من الحياة))..**"(٥٢).

وإذا عُرِّفت الواقعية على إنها موقف – اعتماداً على كونها تصويراً للواقع الموضوعي- فإن الفن كله - في منظور (فيشر) - يُعدّ فناً واقعياً. باستثناء بعض الفنون كالفن التجريدي وفن الاستعارة. وإذا أريدَ بها الواقع الموضوعي فهذا لا يعني قصر ذلك الواقع على الوجود الخارجي للشيء المستقل عن إدراكنا ووعينا المتمثل بالمادة, لأن المادة ليست هي الواقع كله وإنما يشمل الواقع جميع التأثيرات المتبادلة بين الأشياء, وكذلك التأثيرات بين المُدرَك والمُدرِك

(الإنسان) الذي لوعيه ومرتكزاته سهم كبير في تكوين أية صورة ذهنية لتلك التأثيرات(٥٣). وبذلك يحاول (فيشر) أن يعطي صورة مغايرة عن (الواقعية الاشتراكية) بأنها غير مقيدة بالالتزام بأسلوب تصوير الواقع وانتقاده بل يمكنها أن تتوسل بأسلوب آخر. ما يعني إن الواقعية الاشتراكية طورت مفهوم الواقعية التصويرية والانتقادية إلى مفهوم أوسع وأشمل لذلك قيل: إن "**تعدد الأساليب والوسائل سمة مميزة للواقعية الاشتراكية**"(٥٤).

هوامش البحث

١) ظ: محاضرات في تاريخ النقد عند العرب, د. ابتسام مرهون الصفار و د. ناصر الحلاوي, ط١, منشورات العطار, النجف – العراق, ٢٠١٤, ص٧.
٢) المصدر نفسه, ص٧.
٣) مقدمة في النقد الأدبي، د. علي جواد الطاهر, ط١, المؤسسة العربية للدراسات والنشر, بيروت, ١٩٧٩, ص٣٤.
٤) ظ: النقد الأدبي الحديث, الدكتور محمد غنيمي هلال, ط٣, نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع, القاهرة, ١٩٩٧, ص٩.
٥) ظ: النقد الأدبي في القرن العشرين، جان إيف تاديه، تر: د. قاسم المقداد, ط١, وزارة الثقافة – المعهد العالي للفنون المسرحية, دمشق, ١٩٩٣, ص٢٣. ظ: نظرية الأدب، تيري إيغلتون، تر: ثائر ديب, ط١, منشورات وزارة الثقافة السورية, دمشق, ١٩٩٥, ص١٧.
٦) نظرية الأدب، تيري إيغلتون, ص٩.
٧) ظ: مقدمة في أدب العراق القديم، ص٤٧.
٨) ظ: المصدر نفسه، ص٤٩-٥٠.
٩) ظ: الإلياذة, هوميروس, تر: سليمان البستاني, مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة, القاهرة, ٢٠١٢, ص١٨٦. ظ: فن الشعر، أرسطو، ص٢٠. ظ: مقدمة في النقد الأدبي, ص٧٥.
١٠) ظ: الأوديسة، هوميروس, تر: دريني خشبة, ط١, دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع, بيروت, ٢٠١٣, ص ١١١-١١٨. ظ: مقدمة في النقد الأدبي، ص٧٧.
١١) ظ: مقدمة في النقد الأدبي، ص١٤-١٥.
١٢) فن الشعر, أرسطو, ص٢١-٢٢.

١٣) ظ: فن الشعر، د. محمد مندور، دار القلم، القاهرة، ١٩٦٠، ص٥.
١٤) ظ: المذاهب الأدبية من الكلاسيكية إلى العبثية، د. نبيل الراغب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة - مصر، ١٩٧٧، ص ٩. ظ: عصور الأدب الألماني: تحولات الواقع ومسارات التجديد، باربارا باومان و بريجيتا أوبرله، تر: د. هبة شريف، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ٢٠٠٢، ص١٣٢. ظ: قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر، دكتور سمير سعيد حجازي، ط١، دار الآفاق العربية، القاهرة - مصر، ٢٠٠١، ص١٢٣).
١٥) المصدر نفسه، ص٣٥.
١٦) المحاورات الكاملة، أفلاطون، تر: شوقي داود، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٤، مج١/ ص٤٥٠.
١٧) المذاهب الأدبية من الكلاسيكية إلى العبثية، ص٣٥-٣٦.
١٨) ظ: المصدر نفسه، ص٣٦.
١٩) ظ: تاريخ الفلسفة: الفلسفة الحديثة من عصر التنوير في فرنسا حتى كانط، ص٥٤٧-٥٤٨.
٢٠) تاريخ الفلسفة الحديثة، يوسف كرم، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة - مصر، ٢٠١٢، ص٣٣١.
٢١) تاريخ الفلسفة: الفلسفة الحديثة من عصر التنوير في فرنسا حتى كانط، ص٥٤٨.
٢٢) ظ: المصدر نفسه، ص٥٥٠- ٥٥١.
٢٣) ظ: منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، د. صلاح فضل، ط٢، دار المعارف، القاهرة - مصر، ١٩٨٠، ص١١. ظ: المذاهب الأدبية من الكلاسيكية إلى العبثية، ص٣٨. ظ: الواقعية في الأدب الفرنسي، الدكتورة ليلى عنان، دار المعارف، القاهرة-مصر،١٩٨٤، ص٤.
٢٤) ظ: معجم النقد الأدبي، تر: كامل عويد العامري، ط١، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، ٢٠١٣ ، ص٣٤٤. ظ: تاريخ الآداب الأوربية: الواقعية -الحداثة- ما بعد الحداثة، مجموعة من المؤلفين، تر:موريس جلال، ط١، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ٢٠٠٧، ص٥-٦. ظ: الأدب وفنونه: دراسة ونقد، الدكتور عز الدين إسماعيل، ط٩، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠١٣، ص٣٠. ظ: الأدب الروسي قبل الثورة البلشفية وبعدها، د. رمسيس عوض، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة - مصر، ١٩٨٧،

ص٥. ظ: دراسات في المذاهب الأدبية والاجتماعية، عباس محمود العقاد، ط, نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة - مصر, ٢٠٠٦, ص٢٧.

٢٥) ظ: الواقعية في الأدب الفرنسي، ص٤.

٢٦) ظ: منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، ص١١.

٢٧) ظ: تاريخ الآداب الأوربية: الواقعية -الحداثة- ما بعد الحداثة، ص٦.

٢٨) ظ: الأدب الروسي قبل الثورة البلشفية وبعدها، ص٥.

٢٩) ظ: بيلينسكي, د. حياة شرارة، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت,١٩٧٩, ص٣٠.

٣٠) ظ: المصدر نفسه, ص٣٠-٣١.

٣١) ظ: الماركسية والفن الحديث: مدخل إلى الواقعية الاشتراكية، ف. د. كلينجندر, تر: إبراهيم فتحي، ط٢, عيون للنشر والتوزيع، الدار البيضاء- المغرب, ١٩٨٩, ص٦٠.

32) See: Эй смотри: Виссарион Белинский (Статьи), Виссарион Белинский, Издательство «Эксмо-Пресс», России., 2002. стр. 515.

٣٣) ظ: تاريخ الآداب الأوربية: الواقعية -الحداثة- ما بعد الحداثة، ص٦-٧. ظ:المذاهب الأدبية من الكلاسيكية إلى العبثية، ص٣٥. ظ: النقد الأدبي الحديث, ص٣١٢.

٣٤) ظ: المذاهب الأدبية من الكلاسيكية إلى العبثية، ص٣٨.

٣٥) ظ: دراسات في المذاهب الأدبية والاجتماعية، ص٢٧-٢٩.

٣٦) ظ: الواقعية في الأدب الفرنسي، ص٣٠. ظ: المذاهب الأدبية من الكلاسيكية إلى العبثية, ص٣٩. ظ: النقد الأدبي الحديث, ص٣١٣.

٣٧) ظ: الاشتراكية والفن، أرسنت فيشر، تر: أسعد حليم, ط١, دار القلم, بيروت - لبنان, ١٩٧٣, ص١٧٤. ظ: تاريخ الآداب الأوربية: الواقعية -الحداثة- ما بعد الحداثة، ص٢٤. ظ: عصور الأدب الألماني: تحولات الواقع ومسارات التجديد، ص٢٣٨.

٣٨) ظ: الأدب الروسي قبل الثورة البلشفية وبعدها، ص٩-١٠. ظ: فلسفة للالتزام في النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق, دكتور رجاء عيد، منشاة المعارف بالإسكندرية، مصر,١٩٨٨, ص١٣٣.

٣٩) ظ: تاريخ الآداب الأوربية: الواقعية -الحداثة- ما بعد الحداثة، ص٥- ٨. ظ: الماركسية والفن الحديث: مدخل إلى الواقعية الاشتراكية، ص٦٠.

٤٠) ظ: معجم النقد الأدبي، ص٣٤٤. ظ: تاريخ الآداب الأوربية: الواقعية -الحداثة- ما بعد الحداثة، ص ٨.

٤١) ظ: الأدب الأسباني في القرن العشرين, نييس باراندا ليتوريو ولوثيا مونتبخو غوروتشاغا, تر: جعفر محمد العلّوني, ط١, منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب, دمشق، ٢٠١٤, ص١٥٨.

٤٢) ظ: المصدر نفسه, ص١٥٩.

٤٣) ظ: موسوعة لالاند الفلسفية، ص٥٧٦.

٤٤) ظ: الاشتراكية والفن، ص١٧٤. ظ: النظرية الأدبية المعاصرة, رامان سلدن, تر: جابر عصفور، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة-مصر,١٩٩٨, ص٥٤. ظ: دورة سريعة في تاريخ الفن الألماني, فولكر جيبهاردت, تر: علا عادل، ط١، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة, ٢٠٠٥, ص١٨٨.

٤٥) ظ: المذاهب الأدبية من الكلاسيكية إلى العبثية، ص٤٢-٤٣. ظ: الاشتراكية والفن، ص١٧٣.

٤٦) الأدب الروسي قبل الثورة البلشفية وبعدها، ص٨٣ و ص١١٢.

٤٧) المصدر نفسه, ص١١٧. ظ: تاريخ الآداب الأوربية: الواقعية -الحداثة- ما بعد الحداثة، ص٣١٨.

٤٨) ظ: فلسفة للالتزام في النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق, ص١٢٣-١٢٤.

٤٩) ظ: المصدر نفسه, ص١٣٢.

٥٠) ظ: الاشتراكية والفن, ص١٧٠. ظ: قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر، دكتور سمير سعيد حجازي، ط١, دار الآفاق العربية, القاهرة - مصر, ٢٠٠١, ص١٨.

٥١) ظ: الاشتراكية والفن، ص١٦٩-١٧٣. ظ: الماركسية والفن الحديث: مدخل إلى الواقعية الاشتراكية، ص٦١.

٥٢) الاشتراكية والفن، ص١٧١.

٥٣) ظ: الاشتراكية والفن، ص١٧٠. ظ: الماركسية والفن الحديث: مدخل إلى الواقعية الاشتراكية، ص٦٠.

٥٤) موسوعة لالاند الفلسفية، ص٢٩.

قائمة المصادر و المراجع

١.) ظ: المذاهب الأدبية من الكلاسيكية إلى العبثية، د. نبيل الراغب، الهيئة المصرية العامة للكتاب, القاهرة - مصر، ١٩٧٧, ص ٩. ظ: عصور الأدب الألماني: تحولات الواقع ومسارات التجديد، باربارا باومان و بريجيتا أوبرله, تر: د. هبة شريف،

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب, الكويت, ٢٠٠٢, ص١٣٢. ظ: قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر، دكتور سمير سعيد حجازي، ط١, دار الآفاق العربية, القاهرة - مصر, ٢٠٠١, ص١٢٣).

٢. . الأدب وفنونه: دراسة ونقد, الدكتور عز الدين إسماعيل, ط٩, دار الفكر العربي, القاهرة, ٢٠١٣.

٣. الأدب الأسباني في القرن العشرين, نيبيس بارانـدا ليتوريو ولوثيا مونتبخو غوروتشاغا, تر: جعفر محمد العلّوني, ط١, منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب, دمشق، ٢٠١٤.

٤. الأدب الروسي قبل الثورة البلشفية وبعدها، د. رمسيس عوض، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة - مصر, ١٩٨٧, ص٥. ظ: دراسات في المذاهب الأدبية والاجتماعية، عباس محمود العقاد، ط, نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة - مصر, ٢٠٠٦, ص٢٧.

٥. الاشتراكية والفن، أرسنت فيشر، تر: أسعد حليم, ط١, دار القلم, بيروت - لبنان, ١٩٧٣.

٦. الإلياذة, هوميروس, تر: سليمان البستاني, مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة, القاهرة, ٢٠١٢, ص١٨٦. ظ: فن الشعر، أرسطو.

٧. الأوديسة، هوميروس, تر: دريني خشبة, ط١, دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع, بيروت, ٢٠١٣.

٨. بيلينسكي, د. حياة شرارة، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت,١٩٧٩.

٩. تاريخ الآداب الأوربية: الواقعية -الحداثة- ما بعد الحداثة، مجموعة من المؤلفين، تر:موريس جلال, ط١, الهيئة العامة السورية للكتاب, دمشق, ٢٠٠٧.

١٠. تاريخ الفلسفة الحديثة، يوسف كرم، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة, القاهرة - مصر, ٢٠١٢, ص٣٣١.

١١. تاريخ الفلسفة: الفلسفة الحديثة من عصر التنوير في فرنسا حتى كانط، ص٥٤٧-٥٤٨.

١٢. دورة سريعة في تاريخ الفن الألماني, فولكر جيبهاردت, تر: علا عادل، ط١، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة, ٢٠٠٥.

١٣. ظ: مقدمة في أدب العراق القديم، ص٤٧.

١٤. فلسفة للالتزام في النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق, دكتور رجاء عيد، منشاة المعارف بالإسكندرية، مصر,١٩٨٨, ص١٣٣.

١٥. قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر، دكتور سمير سعيد حجازي، ط١, دار الآفـــــــاق العربيـــــــة, القـــــــاهرة - مصـــــــــر, ٢٠٠١, ص١٨.
الماركسية والفن الحديث: مدخل إلى الواقعية الاشتراكية، ف. د. كلينجندر, تر: إبراهيم فتحي، ط٢, عيون للنشر والتوزيع، الدار البيضاء- المغرب, ١٩٨٩, ص٦٠.

١٦. محاضرات في تاريخ النقد عند العرب, د. ابتسام مرهون الصفار و د. ناصر الحلاوي, ط١, منشورات العطار, النجف – العراق, ٢٠١٤.

١٧. المحاورات الكاملة, أفلاطون, تر: شوقي داود, الأهلية للنشر والتوزيع, بيروت, ١٩٩٤, مج١

١٨. معجم النقد الأدبي، تر: كامل عويد العامري, ط١, دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد, ٢٠١٣

١٩. مقدمة في النقد الأدبي، د. علي جواد الطاهر, ط١, المؤسسة العربية للدراسات والنشر, بيروت, ١٩٧٩.

٢٠. منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، د. صلاح فضل، ط٢, دار المعارف, القاهرة - مصر, ١٩٨٠.

٢١. نظرية الأدب، تيري إيغلتون، تر: ثائر ديب, ط١, منشورات وزارة الثقافة السورية, دمشق, ١٩٩٥.

٢٢. النظرية الأدبية المعاصرة, رامان سلدن, تر: جابر عصفور، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة-مصر,١٩٩٨.

٢٣. النقد الأدبي الحديث, الدكتور محمد غنيمي هلال, ط٣, نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع, القاهرة, ١٩٩٧.

٢٤. النقد الأدبي في القرن العشرين، جان إيف تاديه، تر: د. قاسم المقداد, ط١, منشورات وزارة الثقافة - المعهد العالي للفنون المسرحية, دمشق, ١٩٩٣.

٢٥. الواقعية في الأدب الفرنسي، الدكتورة ليلى عنان, دار المعارف, القاهرة- مصر,١٩٨٤.

26. See: Эй смотри: Виссарион Белинский (Статьи), Виссарион Белинский, Издательство «Эксмо-Пресс», России., 2002. стр. 515